إنجازات هائلة وإبداعات فريدة لخادم الحرمين الشريفين

عمر عبدالقادر فقيه
رئيس ديوان المراقبة - سابقًا

إنه لأمرٌ بالغ الصعوبة أن تحاول رصدَ تاريخ عشرين عامًا من العطاء والجهد والتفاني، خاصة عندما يتعلق الأمر بشخصية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود أيده الله، والذي دخلت المملكة في عهده القرن الواحد والعشرين بقوة واقتدار، وبمؤشرات واعدة في جميع المجالات.

فقد تشرفت في عهده برئاسة ديوان المراقبة العامة الذي يمثل أعلى سلطةٍ رقابيةٍ ماليةٍ في المملكة، ومرجعها خادم الحرمين الشريفين، وكان - يحفظه الله - حريصًا كل الحرص على دعم هذا الديوان، حتى صدر أمره الكريم عام ١٤٠٦هـ بإعادة تنظيم الديوان بما يعينه على تحقيق الأهداف المرجوة منه، ليكون معينًا للجهات الحكومية والمؤسسات العامة والشركات الكبرى التي تملكها الدولة، أو تساهم في رؤوس أموالها على أداء المهام المطلوبة منها.

وقد لحظت بإكبار اهتمامَ خادم الحرمين الشريفين يحفظه الله بالمواطن السعودي، وله في هذا الشأن مواقف كثيرة، أذكر منها على سبيل المثال صدور أمره الكريم منذ نحو عشر سنوات بتشكيل لجنةٍ وزارية - شارك فيها ديوان المراقبة العامة - لتعمل ليل نهار، لرفع معلوماتٍ وبياناتٍ واضحةٍ ووافيةٍ عن أسعار المنتجات الغذائية والتموينيةٍ بجميعٍ أنواعها، ليطمئنّ - حفظه الله - بنفسه على مناسبتها وعدم ارتفاع أسعارها، كما كان حريصًا على عدم ارتفاع

أسعار المنتجات البترولية خاصة التي يحتاج إليها المزارعون. وأذكر بإعجاب صدور الإرادة الملكية الكريمة في رجب ١٤٠٤هـ، بلائحة مخفّضةٍ لأسعار المنتجات البترولية، وقد صدرت هذه اللائحة عندما لحظ - يحفظه الله - صدور لائحةٍ بأسعارٍ مرتفعةٍ لهذه المنتجات، لم يرضَ عنها، وغير ذلك كثير .

الأمر البارز الذي يعلن عن نفسه بفخرٍ وعز في عهده - يحفظه الله - هو استقرار الأنظمة العامة

ولكن الأمر البارز الذي يعلن عن نفسه بفخرٍ وعز في عهده - يحفظه الله - هو استقرار الأنظمة العامة: المالية والإدارية والقضائية والتعليمية وغيرها بشكل لم نر له مثيلاً في الدول الأخرى، في مثل هذه السنوات القليلة في أعمار الدول، فقد صدرت الأنظمة الأساسية لمجلس الوزراء، والنظام الأساسي للحكم، ونظام مجلس الشورى، لتضع أسسًا واضحةً وقويةً لدولة حديثة متقدمة، في عصر ليس فيه مجالٌ للتأخر، وليس فيه مكانٌ لخامل، كما صدرت الأنظمة الخاصة بنظام المناطق، والأنظمة القضائية والمحاماة، ونظام التعليم العالي والجامعات، وغير ذلك كثيرٌ مما يصعب حصره.

ونحن لا نستطيع أن نتطرق إلى إنجازات خادم الحرمين الشريفين إلا ونذكر فورًا التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي شملت جميع القطاعات في عهده، والتي انعكست في المشروعات الضخمة التي أقيمت، والتي كان ديوان المراقبة العامة مطلعًا عليها ويعلمها بحكم نظامه، حيث تأتيه العقود التي يتم إبرامها لهذه المشروعات، ثم تأتيه مستندات الصرف الخاصة بها، ليكون شاهدًا على ما أنجزته الدولة، في مرحلة التنمية الشاملة بجميع القطاعات في عهده يحفظه الله، ولعل من أبرز هذه المشروعات التي أصبحت معلمًا بارزًا تعبر عن اهتمام المملكة والمليك بخدمة الإسلام والمسلمين، مشروعات

توسعة المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، والتي شملت أيضًا مشروعات الأنفاق الضخمة والجسور والطرق التي أقيمت بمنطقة المشاعر المقدسة، وهو ما كان محلاً لثناء وتقدير جميع الدول الإسلامية. ولا يمكن أن نتحدث عن إنجازاته - يحفظه الله - في خدمة الإسلام دون أن نذكر بكل فخر مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، والذيً تم افتتاحه عام ١٤٠٥هـ، ليفتتح بذلك عهدًا جديدًا في خدمة كتاب الله طباعةً ونشرًا، وخدمة لعلومه، وترجمةً لمعانيه الكريمة التي تم إنجازها إلى ٢١ لغة عالمية. ثم تأتي النظرة البعيدة بعد توفيق الله عز وجل بصدور توجيهات خادم الحرمين الشريفين عام ١٤٢٠هـ، بإنشاء المجلس الاقتصادي الأعلى، ليكون الجهازَ الذي يضع السياساتِ والخططَ الاقتصادية والإستراتيجية للمملكة، ويدرس كل الأوضاع ويخطط لجميع الاحتمالات الاقتصادية، ثم يضع على رأس هذا الجهاز البالغ الأهمية وليَّ عهده الأمين، نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني، صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود، ثم ينيط بهذا الصرح العظيم مهمةً هي من أكبر المهام في العصر الحديث، ألا وهي مهمة تخصيص المشروعات العامة، وتحويل إدارتها وملكيتها للقطاع الخاص، بهدف مواكبة العصر الحديث في تطبيق هذا الأسلوب الذي سوف يكون له من المزايا ما ينعكس بإذن الله على مستقبل هذا البلد الحبيب، وقد كان من باكورة إنجازات هذا المجلس إقرارُ نظام الاستثمار.

ومن أهم إنجازات خادم الحرمين الشريفين بالشؤون والأوضاع الاقتصادية، إضافةً إلى ما سبق تشكيلُ المجلس الأعلى للبترول والمعادن عام ١٤٢٠هـ ، وإنشاء الهيئة العامة للاستثمار عام ١٤٢٢هـ والتي تختص بشؤون الاستثمار في المملكة، وتقوم بإعداد سياسات الدولة في مجال التنمية وزيادة الاستثمار المحلي والأجنبي، ورفعها

إلى المجلس الاقتصادي الأعلى، وكذلك تكوين الهيئة العامة للسياحة عام ١٤٢١هـ برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام، وذلك بهدف تنشيط قطاع السياحة والخدمات المرتبطة به، ليصبح رافدًا إضافيًا للاقتصاد الوطني وقد شمل الاهتمام بالنواحي الاقتصادية مشروعاتٍ ضخمة، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، مشروعات تحليةِ مياه البحر، فقد احتلت المملكة في عهده المرتبة الأولى بين العالم في مجال التحلية؛ حيث وصل إنتاج المياه من محطات التحلية إلى أكثر من ٥٠٠ مليون جالون من المياه العذبة يوميًا، من ٢٧ محطة تحلية.

ولا يخفى على أحد الإنجازات الهائلة بقطاعات الصناعة والبترول والزراعة والمواصلات. وقد أنشئت شركاتٌ صناعيةٌ كبرى مثل شركة سابك، وشركة الزيوت العربية السعودية (أرامكو السعودية)، وشركة التنمية الزراعية، وشركة النقل الجماعي، وشركة الاتصالات السعودية التي قامت الدولة بدعمها جميعًا، كما أنشئت المطارات الدولية في كل من الرياض وجدة والدمام، والمطارات المحلية في جميع مدن المملكة، أما شبكة الطرق فتعدّ من أحدث الشبكات على مستوى العالم؛ حيث بلغ مجموع أطوالها الإجمالية ١٥٢٠٠٠ كم، منها ٤٥٠٠٠ كم من الطرق الرئيسة.

وكان - وما يزال - من أبرز اهتماماته - يحفظه الله - توفيرُ الرعاية الاجتماعية للمواطن السعودي، وذلك بإنشاء دورِ الرعاية والتربية الاجتماعية، ودور رعاية المسنين، ودور التوجيه الاجتماعي والتأهيل المهني، ودعم جمعيات رعاية المعاقين، وتوفير الاعتمادات اللازمة للضمان الاجتماعي الذي يشمل صرف معاشاتٍ دورية للمستحقين من الأيتام والعاجزين عن العمل، وأسر السجناء والأرامل والمصابين في الكوارث.

وشملت رعايته - يحفظه الله - لمواطنيه والمقيمين في القطاع الصحي بعد إنشاء المستشفيات الضخمة إنجازًا غير مسبوق؛ بإنشاء مراكز الرعاية الأولية بجميع أنحاء المملكة، وتنظيم حملات التطعيم ضد الأمراض بأنواعها، ثم دخلت المملكة مرحلة متقدمةً في الطب، بإدخالها الطب الاتصالي عبر الأقمار الصناعية؛ حيث قام رعاه الله بافتتاح قسم الاتصال الفضائي في مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث في الرياض عام ١٤١٦هـ، لربط أكبر مستشفيات المملكة بأكبر عدد من المستشفيات الأمريكية، والمراكز والمعاهد الطبية الأوربية الكبرى.

والحديث عن خادم الحرمين الشريفين لا بدّ أن يتطرق إلى أمور كثيرة، تؤكد أنه على رغم مشاغله الكثيرة إلا أنها لم تشغله عنٍ جوانبَ إنسانيةٍ تتعلق بكثير من الأمور التي رآها بحكم منصبه وأنقذت كثيرًا من الأسر بقراراتٍ تتسم بالإنسانية والمروءة والحكمة.

إن الحديث عن عبقرية الملك فهد بن عبدالعزيز، وتسجيلَ إبداعاته وإنجازاته في التنمية الشاملة في المملكة، والتي نقلتْها نقلةً عصريةً متقدمة، في ظل القيم والمبادئ التي تظلّلها الشريعة الإسلامية خلال عشرين عامًا من العطاء، لَمثار فخر واعتزاز، من كل من تشرّف بالعمل بالقرب منه يحفظه الله، والاطلاّع عن كثب على صفاته الشخصية، ولمساته الكريمة، ورؤيته الثاقبة وبُعْدِ نظره .